خطبة صلاة الجمعة 16/ 4/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(الصدقة برهان –1–)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 103 – 105].

أخرج الإمام أحمد عن سمرة بن جندب، وعمران بن حصين رضي الله عنهما قالا: ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة إلا أمرنا بالصدقة.

أيها الإخوة:

كل عام وأنتم بخير، بمناسبة دخول شهر رمضان المبارك سأجعل عنوان الخطب الأربعة فيه بإذن الله **(الصدقة برهان)**، وعنوان هذه الخطب مأخوذ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

أخرج الإمام مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«الطُّهور شَطْرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأُ الميزان، وسبحانَ الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السموات والأرض، والصلاةُ نور، والصدقةُ بُرْهَان، والصبرُ ضِياء، والقرآنُ حُجَّة لكَ أو عليكَ، كلُّ الناس يغدو، فبائع نَفْسَهُ فمعتقُها، أو مُوبِقها»** [مسلم].

الصدقة: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة، وأما قوله الصدقة برهان فقد قال ابن رجب: (البرهان: هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس، ومنه سميت الحجة القاطعة برهاناً، لوضوح دَلالاتها على ما دلت عليه، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان، وطيبُ النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه، وسبب هذا أن المال تحبه النفوس وتبخل به، فإذا سمحت بإخراجه لله عز وجل دل ذلك على صحة إيمانها بالله ووعده ووعيده).

قال الإمام النووي: (هذا حديث عظيمٌ أصل من أصول الإسلام قد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام... ثم قال: والصدقة برهان معناه يُفْزَعُ إليها كما يفزع إلى البراهين كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول تصدقت بكذا وكذا... قال ويجوز أن يوسم المتصدق بسيماء يعرف بها فيكون برهاناً له على حاله ولا يسأل عن مصرف ماله).

ذهبت -أيها الإخوة- أجمعُ مادة لخطب رمضان عن الصدقات فوجدت حديث النبي صلى الله عليه وسلم وافراً بالحض على الصدقة وبفضل الصدقة وبآداب الصدقة وبأنواع الصدقة وبأحكام الصدقة وبغير ذلك، فلم أجد خيراً من أقرأ عليكم في كل خطبة من هذه الخطب طائفة من هذه الأحاديث مع شيء من التعليق على بعضها.

جاء في كتاب جامع الأصول الذي جمع فيه مؤلفه ابن الأثير الجزري الكتب الستة البخاري ومسلم وأبا داوود والترمذي والنسائي والموطأ.

قال ابن الأثير: (الكتاب الخامس: في الصدقة، وفيه فصلان:

الفصل الأول: في الحث عليها وآدابها:

أخرج البخاري، ومسلم، والنسائي عن حارثة بن وهب رضي الله عنه: قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**تصدَّقُوا، فيُوشِكُ الرَّجُلُ يمشي بِصَدَقتِهِ، فيقولُ الذي أُعطيها: لو جئتنا بها بالأمس قبلتُها، فأما الآن، فلا حاجة لي فيها، فلا يَجِدُ من يَقْبَلُها منه**».

أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه: أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «**ليأتِيَنَّ على الناس زمان يطوفُ الرَّجُلُ فيه بالصَّدَقَةِ من الذَّهبِ، ثم لا يجدُ أحداً يأخُذُها منه، ويُرَى الرَّجُلُ الواحد يتبعُهُ أربعون امرأة، يَلُذْنَ به من قِلَّةِ الرِّجالِ وكثرةِ النِّساءِ**».

أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لمَّا خَلقَ اللهُ الأرضَ جعلت تَمِيدُ وتَكَفَّأُ، فأرساها بالجِبال، فاستقرَّتْ، فتَعَجَّبَتِ الملائكةُ من شِدَّةِ الجبالِ،**

فقالتْ: يا رَبَّنا، هل خلقْتَ خلقاً أشدَّ من الجبالِ؟ قال: [نعم] ، الحديدَ، قالوا: [يارب] ، فهل خَلَقْتَ خلقاً أَشدَّ من الحديد؟ قال: [نعم] ، النارَ، قالوا: [يارب] فهل خَلَقْتَ خلقاً أشدَّ من النار؟ قال: [نعم] ، الماءَ، قالوا: [يارب] ، فهل خَلَقْتَ خلْقاً أشدَّ من الماءِ؟ قال: [نعم] ، الرِّيحَ، قالوا: [يارب] ، فهل خَلَقْتَ خلقاً أشدَّ من الرِّيحِ؟ قال: [نعم] ابنَ آدم، إذا تصدَّق بصدقة بيمينه فأَخْفَاها عن شماله».

أخرج البخاري، ومسلم. عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: «ضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مثلَ البخيل، والمتصدِّق، كمثل رجلين عليهما جُبَّتان من حديد قد اضطرت أيديهما إلى ثُدِيِّهما وتَرَاقِيهما، فجعل المتصدِّق كُلَّما تصدَّق بصدقة انبسطت عنه، حتى تُغَشِّيَ أنامِلَه، وتعفوَ أثرَهُ، وجعل البخيل كُلَّما هَمَّ بصدقة قَلَصَتْ، وأخذتْ كلُّ حَلْقة بمكانها، قال أبو هريرة: فأنا رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: بإصبعه هكذا في جَيبه، فلو رأيتُه: يُوَسِّعُها ولا تَوَسَّعُ».

قال أستاذنا الدكتور نور الدين عتر رحمه الله في شرح الحديث: (الصدقة تظل صاحبها يوم القيامة وتقي صاحبها من عذاب الله ومن نار جهنم، وثمة جانب آخر مقابل للصدقة هي النفس الحريصة على المال وجمعه.

فيصور الحديث هاتين الخصلتين خصلة الكرم وخصلة البخل ثم ما تتنازعه النفس من إعطاء ومنع.

فالحديث يحكي صورة إنسانين قد استعدا للقتال وكل منهما يريد أن يقي نفسه بدرع يلبسه.

فأما الأول فقد اتسعت الدرع وغطت أنامله وسبغت حتى محت آثاره.

وأما البخيل فقد وقفت في مكانها فبدلا من أن تحميه أصبحت عائقا له فلا يستطيع أن يتحرك فيها).

أخرج البخاري، ومسلم، والموطأ، وأبو داود، والنسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر: وَذَكَر الصدقةَ والتعفُّفَ عن المسألة: «اليدُ العليا خير من اليدِ السُّفْلى، والعليا: هي المنفِقةُ، والسفلى: هي السائِلةُ».

وأخرج أبو داود عن مالك بن نضلة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «الأَيدي ثلاثة: فيدُ الله العليا، ويدُ المعطي التي تليها، ويدُ السائل السفلى، فأعطِ الفضْلَ، ولا تَعْجِزْ عن نفسك».

أخرج البخاري، ومسلم، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اتَّقُوا النارَ ولو بِشِقِّ تَمْرَة».

وفي رواية: «من استطاع منكم أن يَسْتَتِرَ من النار ولو بِشِقِّ تَمْرَة فليفعلْ».

وفي أخرى: «**أنه ذَكَرَ النار، فتعَوَّذَ منها، وأشاحَ بوجهه ثلاث مرات ثم قال: اتقوا النار ولو بِشِقِّ تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيِّبة**».

أخرج الترمذي، وأبو داود، والنسائي، عن أم بجيد الأنصارية رضي الله عنها: وكانت ممن بايعتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالت: «**قلتُ: يا رسولَ الله، إنَّ المسكين ليقوم على بابي، فما أجدُ شيئاً أعطيه إياه؟ قال: إن لم تجدي إلا ظِلفاً مُحْرَقاً فادفَعيه إليه في يده**».

(ظِلْفاً مُحْرَقاً): الظِّلْف: خُفُّ الشاة، وفي كونه محرقّاً مبالغة في غاية ما يُعطى من القلة.

أخرج أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**هل منكم أحد أطعم اليومَ مسكيناً؟ فقال أبو بكر: دخلتُ المسجدَ، فإذا بسائل يسأل، فجئتُ البيتَ، فوجدتُ كِسْرَةَ خُبز في يد عبد الرحمن، فأخذتُها منه فدفعتُها إليه**».

وعن مالك بن أنس: «**بلغه عن عائشةَ: أن مسكيناً سألها وهي صائمة، وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالتْ: ليس لكِ ما تُفْطرين عليه، فقالت: أعطيه إياه، قالت: ففعلتُ، فلما أمسينا أَهْدَى لها أهلُ بيت، أو إنسان، ما كان يُهدِي لها: شاة وكَفَنَها، فدعتني عائشةُ، فقالتْ: كلي من هذا، هذا خير من قُرْصِكِ**».

قال مالك: وبلغني «**أن مسكيناً استطعم عائشةَ أمَّ المؤمنين وبين يديها عِنَب، فقالتْ لإنسان: خذْ حَبَّة فأعْطه إياها، فجعل ينظرُ إليها، ويَعْجَبُ، فقالتْ عائشةُ: أتعجَبُ؟ كم ترى في هذه الحَبَّةِ من مثقال ذَرَّة؟**»

وبعد أيها الإخوة:

هذه طائفة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة، ورمضان وقت الإقبال على الله وبذل المعروف وعون الملهوف، فكيف إذا كان الناس في أزمة وضائقة!.

إنَّنا اليوم أحوج ما نكون إلى أن يبذل الواجد، وأن يستعفَّ القادر، وأن يعين بعضنا بعضاً.

عن الحسن البصري قال: لقد عهدت المسلمين وإنَّ الرَّجل فيهم يصبح يقول:

يا أهلاه يا أهلاه، يتيمَكم يتيمَكم، يا أهلاه يا أهلاه، مسكينَكم مسكينَكم، يا أهلاه يا أهلاه، جارَكم جارَكم.

فاستوصوا بأنفسكم وأهليكم وجيرانِكم وسائر الناس خيراً، وحسبكم أن الذي يجازي على الصدقة رب العالمين ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: 88].

والحمد لله رب العالمين